والظاهر من تعديل نشرهُ المسيو داريفو ان الحكومة العثمانية وتردد الاوربيين قد نفعا حلبًا كثيرًا فانهُ روى ان عدد سكانها بلغ ٢٨٥٠٠٠ في سنة ١٦٨٣ وقال رووسل المذكور آنفًا في كتابهِ الفهُ بعد ذلك المؤلف بخمسين ان عددهم نحو ١٢٥٠٠٠ وذكر غيرها من المؤرخين المتاخرين انهُ لا يظن ان سكان حلب زادوا عن ١٥٠٠٠٠ نفس في اي وقتٍ كان . ورجح المدققون الرواية الاولى

وفي سنة ١٦٠٥ عصى علي باشا جانبلاط على الدولة في زمان السلطان احمد الاول وسار الى بعض مدائن سورية فاخذها حتى بلغ دمشق واخذها وسنة ١٦٠٧ استرجع السلطان احمد المدن السورية بتدبير محمد باشا الصدر الاعظم ثم اشتبكت حرب مهولة دامت ثلاثة ايام بالقرب من حلب ولم يظهر النصر لاي الفريقين حتى شاعت الاخبار بقدوم والي الشام ووالي طرابلس فخاف علي باشا واذعن للدولة العلية وسار الى الاستانة العلية فاعتبرهُ الوزير واكرمهُ وسمح لهُ ان يعود الى سورية واستقرَّ حال حلب حتى سنة ١٦٥٨ فجرى في نواحيها والموصل حركة من ابرهيم باشا واحد المدعين بالخلافة العثمانية وجرى بين جنود الدولة وذلك الثائر حرب مهولة افضت الى اسر المدعي وابرهيم باشا

وفي سنة ١٧٢٢ اصيبت حلب بزلزلة مهولة دمَّرت اكثر بيوتها وقتلت كثيرين من اهلها. وفي زمان استيلاء الحكومة المصرية على سورية كانت حلب ايضًا قد عنت لها وقد اقام بها المرحوم ابرهيم باشا بعض اعمال لم تزل شاهدة على عظمتهِ وبنى فيها بعض ابنية ثم عادت الى الدولة العلية كسائر سورية

وها هي حلب الآن راس ولاية عثمانية باسمها تدبر جملة من المتصرفيات الَّا ان تجارتها وقفت دون ذلك التقدم السريع لان فتح برزخ السويس قد اضرَّ بها بتقريبهِ الهند الى اوربا

لوي بلان

نعى لنا التلغراف هذا الكاتب المؤرخ السياسي المشهور في امة الفرنسيس بثبات الراي وبراعة الاسلوب ونحن مترجمون بهِ بيانًا لاحوالهِ وتذكرةً للمتاملين

رأينا الرجل عام ١٨٨٠ نحيفًا ربعة مشوب الراس بالشيب وسمعناهُ في مجلس النواب خطيبًا وتري الصوت لين الكلام قليل الاشارة ظاهر الاقتناع وكان البادي عليهِ من سنيهِ نحو الخمسين مع كونهِ في الواقع من وراء خمس وستين فقد ولد بمدريد في الثامن والعشرين من شهر تشرين

الاول عام ١٨١٤ من اب فرنسوي وام اسبانية وكان والدهُ منشئ مالية اسبانيا على عهد الملك يوسف بونابرت . فلما انتقل عرش الامبراطورية عاد الى باريس بابنهِ صغيرًا لم يتجاوز السبع من السنين وما لبث ان ارسلهُ الى مدرسة (رودز) على نفقة دولة الرجعة فطلب فيها وحصل واجيز لهُ وهو في السادسة عشرة فآب الى باريس عام ١٨٣٠ فلقي والدهُ معدمًا بما أثر فيهِ سقوط الملكية فاخذ في السعي على رزق يتهم من طريق التدريس . ثم ضاقت عليهِ هذه المعيشة فاتى سفير الروسية بتوصية من احد ذوي قرباهُ يلتمس منهُ المساعدة على نوال خدمة يكون بها غناء فرآهُ السفير صغيرًا فدافعهُ ودفع اليهِ الف فرنك احسانًا فكبر على الفتى اخذ الصدقة فردّها وعاد الى شانهِ الاول صابرًا على الضيق فيهِ حتى ارسلهُ احد محبيهِ الى ارّاس استاذًا لابن (هالت) منشئ آلاتها فاقام بتلك المدينة عامين خالي البال عن شواغل المعاش منقطعًا الى العلم والتعليم ونظم فيها قطعًا من الشعر فاجاد واجازهُ مجمع العلماء ثم شارك في تحرير الجريدة المسماة (بروبوغار) وعاد بعد ذلك الى باريس على نية الدخول في عالم الجرائد فنبل في مكتب صحيفة (بون سنس) فكان ذلك ابتداء ظهورهِ بين اهل الانشاء . ثم توفي رئيس التحرير في تلك الصحيفة فخلفهُ لوي بلان ولم يكن بالغًا من العمر غير ثلاثة وعشرين عامًا ومذ حينئذٍ تبين فضل الكاتب وعرف رأي السياسي فيهِ فترقى الرجل في مراتب العرفان حتى بلغ المقام الذي مات عليهِ

وكان صاحب الترجمة من انصار الثورة الاجتماعية يروم تغيير الهيئات الحاضرة اصلاً وفروعًا ولا يعدّ الثورات السياسية الّا بمنزلة التمهيد لذلك القصد متصعبًا فيما يلتمس متعصبًا فيما يرى لا ترضيهِ انصاف الامور ولا يقنع بظواهر المنافع على انهُ كان اديبًا مصون العرض في المناقشة يدفع الاقوال ولا يتعرّض لمن قال . التزم التحرير في جريدة بون سنس حينًا من الدهر فاشتهرت بهِ وانتشرت في البلاد ثم وقع الخلاف بينهُ وبين اصحابها على بعض الاراء فهجرها وانشأ لنفسهِ جريدة باسم (ريفو دوبروغرهْ) واصدر في هذه الجريدة عام ١٨٣٠ فصلاً عنيفًا يردُّ فيهِ على كتاب صادر من لويس بونابرت الذي صار بعد ذلك امبراطورًا فاثّر الفصل في الاذهان تاثيرًا شديدًا واهتزّ لهُ بونابرت وانصارهُ غيظًا على انهم لم يردُّوا عليهِ ولكن دهم لوي بلان من بعدهِ وهو عائدٌ الى منزلهِ ليلاً فاوسع ضربًا والمخن جرحًا وترك على الارض مضرّجًا بالدم فكان ذلك هو الجواب

الّا ان الغدر واللؤم والخشونة والعنف كل ذلك لا يرجع نبلاء النفوس عما يقصدون بل ربما زادهم استمساكًا بآرائهم واقدامًا على مقاومة اعدائهم كما جرى لصاحب الترجمة بعد هذه النهلكة اذ استمرّ على رأيهِ السابق في تلك الجريدة بل زادهُ بيانًا وايضاحًا غير مبالٍ بالعداوات حتى صار لهُ عند اهل الحرّية وشيعة الجمهورية مقام عظيم . ثم اخذ في نشر تقاريرهِ المشهورة (على ترتيب

الاعمال) حتى كملت فجعلها كتابًا براسهِ فتحدّث الناس كثيرًا بهذا الكتاب وطارتْ بهِ شهرة صاحبهِ في بلادهِ وفي سائر الاقطار وصار عند النحلة مَن يشار اليهم بالبنان وكان الموضوع الكلي في هذا الكتاب : على كلٍّ من الناس ما يستطيع ولكلٍّ منهم ما يحتاج . بمعنى ان ينال كل امرء ما يحتاج اليهِ ولا يكلّف مع ذلك الّا ما تساعده قواهُ عليهِ. ومن آراء صاحب الترجمة فيهِ استبدال المعامل الخصوصية التي هي لافراد الامة بمعامل عمومية تكون وقفًا على المجموع بحيث تحصل المساواة المطلقة بين الافراد وتكون الدولة بمنزلة الناظر على ذلك الوقف لتوزيع ريعهِ عليهم بمقدار ما يحتاجون . وهو ملائم لراي الاجتماعية او الاشتراكية وفيهِ نظر من وجوه منها ان السعي الصادق في الشان لا يكون الّا بامل المكافاة ولا مكافاة في ذلك التقسيم وان الحاجات مرهونة بالاوقات متوطة بالطباع والاحوال فتحديدها بعيد من جانب الامكان وان الحالة المدنية مستلزمة للملكية الخاصة فالغاؤها حكمٌ بارجاع الهيئة الانسانية الى الحالة الفطرية . وبالجملة فهو من الخواطر التي حصلت في بعض النفوس كما يشاء حبّ الانسانية او تجسم الخيال ولم توجد في عالم الواقع بحال . وكيف كانت آراء لوي بلان في هذا الكتاب فقد انتشرت في البلاد الاوربوية وعظمت آثارها في النفوس فانقلبت بها الافكار ايما انقلاب . ثم تلاها من آثار افكاره تاريخهُ لعشر السنين الاول من ملك لويس فيليب في فرنسا فلم يكن اقلّ تاثيرًا من الكتاب الاول بل هو آية في موضوعهِ بما فيهِ من الدقة والبلاغة وحسن النقد ووحدة الخاطر في تسوئة الظلم وتحطئة الظالمين من ارباب الحكم عدّهُ الناقدون من الطبقة الاولى في تواريخ العصر وعلم السياسيون انهُ كان من اقوى الاسباب في سقوط شان الملكية ببلاد الفرنسيس

ثم اخذ لوي بلان في انشاء تاريخ الثورة الفرنسوية على اسلوب عجيب عام ١٨٤٧ وكان تاريخهُ السابق الذكر وكتابهُ في ترتيب الاعمال ومنشوراتهُ في الجرائد من قبل وما كتبهُ (ميشيله) وما كتبهُ (لامارتين) في ذلك العهد ما هاج افكار الامة واوقد نار الثورة في فرنسا فثبت في الثاني والعشرين من شهر شباط عام ١٨٤٨ فانقلب بها الملك واقيم للبلاد حكم وقتي فكان صاحب الترجمة من رجال ذلك الحكم ثم صار الحكم جمهوريًا فكان من رؤساء الجمهورية المعدودين بل من احبهم الى الامة بدليل ان مئتي الف منهم احتشدوا لهُ في شهر اذار واختاروهُ محكمًا (دكتاتورًا) فتعفّف عن ذلك وما استخدم هذه القوّة الّا لاصدار قرار بالغاء حكم القتل في القضايا السياسية . ثم عارض النواب ورجال الحكومة في بعض الآراء فصار لهُ ينهم اعداء الداء واتفق بعد ذلك ان وفد على المجلس منتصف شهر ايار نحو ستين الفًا من الشعب طالبين الانتصار لبولونيا فخرج لوي بلان اليهم فاحتملوهُ على الرؤوس تعظيمًا وطافوا بهِ طواف الانتصار فكان ذلك تارًا في قلوب

حاسديهِ فاضمروا لهُ الشرّ وترقبوا فيهِ الفرص فاتاهُ في السادس والعشرين من شهر آب ان قد صدر امر الحكومة بالحجر عليهِ فرام المسير الى البلاء مختارًا فصدَّهُ عن ذلك احد النواب واقتادهُ الى منزلهِ عنوةً ومن ثمَّ هاجر الى بلاد الانكليز فحكم عليهِ حكمًا غيابيًّا وعُلّقت صورة الحكم في مجمع عمومي فاندفعت الامة على ذلك المجمع فمزّقت صورتهُ وجعلت مكانها اكاليل من الزهر

واقام لوي بلان في منفاهُ الى ثامن شهر ايلول عام ١٨٧١ اي نحو ثلاثة وعشرين عامًا وهناك اتمَّ تاريخهُ للثورة على ما تقدَّمت الاشارة اليهِ من براعة الاسلوب وصحة النقد فجاء اثرًا لا ترى العين مثلهُ الّا قليلاً . وكان مع ذلك يراسل جريدة الزمان من لندرة بفصول غرّاء تألفها النفوس . ثم عاد الى باريس بعد رجعة الجمهورية وانتخب للنيابة عنها فاتخذ في الشمال الاقصى مكانًا قصيًّا فرضيهُ الغلاة من اهل الحرّية رئيسًا وكان من آرائهِ في ذلك المجلس الغاء السنات وتجريد رئيس الجمهورية مما لا يزال لهُ من الامتياز الملكي ثم اعيد انتخابهُ عام ١٨٧٦ وعام ١٨٧٧ وعام ١٨٨١ وبقي الى يومهِ الاخير نائب الحيّ الخامس من مدينة باريس وهو حيّ المدارس والدارسين

ولا نزيد على هذه الترجمة شيئًا فالآثار تنطق بغير لسان والاعمال تغني عن البيان . ولقد كان الرجل عفا الله عنهُ شديد الخوف من الاطراء كثير التجنُّب لمظانّ المدح فلنكفهِ ميتًا ما خافهُ حيًّا فقد كان يسير منفردًا ويكتب محتجبًا وينطق بلا كلفة ولا اكتساب منقطعًا الّا عن المحتاجين اليهِ مرتضيًا من نعيم الحياة بمنزل وسط في شارع (رو رويال) ليس بظاهرهِ شيء من الزينة ولا بداخلهِ شيء من آثار النعم وانما هي كتب مكتبة واقلام منسوقة وقراطيس منثورة شمالاً ويمينًا من حول جسم صغير راع الكبراء وبدن ضعيف هال الاقوياء . والكل في الارض رهن الفناء

ذكرت جريدة الملاحة ان عدد السفن التي غرقت سنة ١٨٨١ كان سفينةً في كل اربع ساعات من الزمان على وجه التعديل . وان كثيرًا منها غرق لتغافل من فيها واكثرها غرق ايام الضباب الكثيف والظلام الحالك . وانهُ اصطدم ٤٠٠ باخرة كبيرة سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٠ احداها بالاخرى في الاوقيانوس الاتلانتيكي الشمالي وحدهُ وانهُ يغرق على معدَّل ما ذكر اكثر من باخرة كل يوم وانهُ لو كان للنوتية نظام يسيرون بموجبهِ ايام الضباب واشتداد الظلام لسلمت اكثر هذه السفن من الهلاك

قال الاستاذ أون الانكليزي الشهير انهُ يُستدَل ما عُرف عن الشعوب الاقدمين الذين بقي منهم اثرٌ الى هذا اليوم انهم كانوا كالشعوب المتوحشة في ايامنا هذه في افكارهم وطرق معيشتهم

مدام دوستايل

يشهد كتبة فرنسا ان هذه المرأة اشتهرت في القرن الثامن عشر حتى صارت تعدُّ في مقدمة كتبتهم وشهيرات نسائهم . وترجمتها طويلة واخبارها كثيرة ولذلك اقتطفنا منها ما يناسب المقام ويحث بنات جنسها على اقتباس الفضائل واجتناب الرذائل

مدام دوستايل

ولدت هذه الشهيرة بباريس سنة ١٧٦٦ وتولت امها تعليمها ولكنها كانت تجهل مقتضيات الطفولية ومراعاة حال الاولاد من حيث مزاجهم وميلهم واتجاه عواطفهم فشدّدت على ابنتها في التعليم

واتخذت الصرامة ديدنًا لها في التربية والتاديب وهو خطأٌ ولاسيما في من امتلأ حياةً ونشاطًا كابنتها فلذلك لم يعلق قلب ابنتها بها ولا كان لكلامها وقع مقبول في نفسها ومن جملة ما يبين ذلك انها كانت تحبُّ اللعب مما يشبه التشخيص في المراسح وتميل الى ذلك ميلاً شديدًا فتعمل ملوكًا وملكات من الورق وتشخص لها مواقع من فكرتها وتتكلم في التشخيص عنها وكانت امها تكره المراسح والتشخيص وتمنعها من اللعب بتلك الصور غير مراعية ميلها الشديد الى ذلك. فكانت ابنتها تختبئ وتلعب خفيةً عنها ولا تكاشفها بشيء مما يخطر في بالها من ذلك

واما ابوها فكان اوفر من امها حكمةً واكثر معرفة في معاملة ابنته فيلاطفها ويمازحها ويحدثها حتى تانس اليه وتكشف له قلبها. ولذلك كانت تحبه حبًّا شديدًا وتفعل ما في طاقتها لتسرهُ وتكتسب رضاهُ. رُوي انهُ لما كان عمرها عشر سنوات سمعت اباها يمدح كِبن المؤرخ الانكليزي مدحًا عظيمًا وبتمنى لو أُتيح له ان يحادثه ويعاشرهُ ففكرت طويلاً ثم قالت على بساطة قلبها "زوجني به يا ابي فيكون سميرك دائمًا" مقتنعة ان مرضاة والدها واجبة عليها ولو مهما كلفتها. وكان حبها لابيها يتعاظم في قلبها يومًا فيومًا حتى قالت له مرة اني احسدُ امي عليك. وكانت تقول لما كبرت ان ابي كان اثناء تحدثهِ ومزحهِ معي يكشف لي كل عيوبي ونقائصي ويكرهني بالرياء والنفاق حتى صرت احسب ان كل احدٍ يرى افكاري كما يرى ظاهري فلا اتظاهر بغير ما انا عليهِ

وكان ابوها رجلاً عظيمًا ووزيرًا على مالية لويس السادس عشر ملك فرنسا مهابًا بعيد الصيت والسطوة والنفوذ يختلف الى بيتهِ عظام فرنسا وعلماؤها وشعراؤها فكانت امها تاتي بها وهي صغيرة السن الى قاعة الاستقبال وتجلسها على كرسي مستدير بجانبها وتوصيها من حين الى حين بالجلوس مستقيمةً امثلاً تكون حديث الظهر متى كبرت. فتجلس هناك شاخصة الى احاديث الزوّار تلتقط كل كلمة تخرج من افواههم وتصغي اتمَّ الاصغاء الى احاديثهم وتزن ممانيهم حتى يرى الناظر من علامات وجهها انها لا تدع فائدة تفوتها وانها تبتلع المعاني ابتلاعًا على صغر سنها. وكانوا كلهم يحدثونها كما يحدثون كبار السن ويباحثونها في ما تعلمتهُ ويحثونها على درس ما لم تتعلمهُ. فلم تكثر عليها السنون حتى بلغت قوى عقلها مبلغًا قلما تدركهُ العقول في سنها ولم تجتَ عليها السنة الخامسة عشرة حتى شرعت في التاليف واشتدَّ حبها للعلماء بالعظماء فكان قلبها ينبض شديدًا عند رويتهم وصيتهم يستفزُّها الى مجاراتهم ومسابقتهم

ولما بلغت السنة العشرين من عمرها شاع ذكرها في الآفاق وانطلقت الالسنة بوصفها فتزوجت بسفير السويج في فرنسا واسمهُ ستايل سنة ١٧٨٦ فانتقع اسمها باب السياسة. وكانت في بداءة عمرها تعتبر فلسفة جان جاك روسو اعتبارًا عظيمًا ولما ابتدأت الثورة الفرنسوية وكان ابوها قد انجد حزب الثائرين مالت اليها حاسبة انها الطريق الوحيدة لسعادة فرنسا ونعيمها. ولكن لما تفاقم خطبها ورأت

فظائعها وعلمت ان احسن اهل وطنها يقتلون بها فرت منها وجعلت همها تخليص الذين قد وقعوا في حبائلها من الموت . فسعت بنجاة العائلة الملكية وفرارها الى بلاد الانكليز ولكنها خابت مسعى فعمدت الى تخليص غيرها وكانت كلما خلّصت شخصاً لا تستريح حتى تخلّص كل من يتعلق به من الاقرباء والاصدقاء وتخاطر بنفسها لخلاص غيرها مخاطرة اعظم الناس بأساً كما يظهر من الحادثة التالي ذكرها : اتفق ان الدول المتحالفة ضيقت على الحكومة الثورويّة سنة ١٧٩٣ فقال رجال هذه الحكومة لا نأمن على نفوسنا ان لم نقتل كل من له ضلع مع الملكية في باريس فاستباحوهم قتلاً ونهباً . وكان لمدام دوستايل اصدقاء كثيرون بينهم فتخلصت بواسطتهم حياة كثيرين وبقي رجل اسمه دو مونتمكيو فعزمت على ان تخرج به من باريس كخادم لها . فلقيها الثائرون في الطريق فانزلوها من مركبتها كرهاً وذهبوا بها الى روبسبيير زعيمهم فاخترقت الصفوف مرتجفة والسيوف والبنادق قد سدت الآفاق من حولها ولو زلت قدمها لتُقتلت دوساً ولكنها ثبتت على ضعفها ورباطنها ست ساعات تسمع صراخ القتلى وانين المعذبين حتى أُطلق سبيلها فخرجت من فرنسا فرحة بانها قد لقيت ما لقيت فداء نفس خلصتها من الموت . وكتبت كتاباً بليغاً في الدفاع عن الملكة ماري انتوانت ولكنه لم يأتِ بالفائدة المقصودة فجزعت على قتلها جزعاً شديداً

وفي ١٧٩٧ عادت من سويسرا حيث كانت الى باريس فوقع الخلاف بينها وبين نبوليون بوناپارت لامها اوجست منه السوء بعد تعرفها به بقليل . قالت اني لما تعرفت به اعجبني خلقه وعقله وقلت انه قد تفرّد فيهما كما تفرّد في انصاره وانه رجل معتدل الطباع من اهل الجد والوقار بعكس زعماء الثورة ذوي الطباع المرّة الذين كانوا يحكمون قبله . ولكن لما هدأ روع اعجابي به وعدتُ الى نفسي شعرت بنورٍ عظيم منه لما وجدته فيه فانه كالسيف البارد الماضي يجد جمودا على حين يجرح جرحاً وعلمت انه يحتقر الامة التي يريد ان يملك عليها . وجاهرت بمائدته فكنت ترى فاعتها غاصة بجماهير الناقمين من بوناپارت والضاغنين عليه . فاوجس بوناپارت خيفة منها وحاول ان يرشيها بالمال لترجع عن معائدته فوعدها بان يدفع لها مليوني ليرة كانا لابيها على الدولة فرفضت قبول تلك الرشوة فقال لها جوزف بوناپارت قولي اذاً ماذا تشتهين فقالت له اني لست افعل ما افعل طمعاً بالحصول على امر اشتهيه بل طبقاً لما اعتقده

وكانت تحبّ سكنى باريس محبة شديدة وتخاف النفي منها جدّاً ولا تسرّ الاّ بمعاشرة الادباء محفوفةً باهل الفضل والاصدقاء . وكان نبوليون بوناپارت يعلم ذلك فلما رأى اصرارها على معائدته ابى الاّ ان ينتقم منها فنفاها الى مدينة بسويسرا يقال لها كيت ولم يسمح لها بالابتعاد عن منزلها اكثر من ميلين وحرمها من العودة الى باريس فكان ذلك عليها مصيبة لا تطاق فقضت باقي ايامها

تعيسة على فراق باريس

وتولّت تربية اولادها بشخصها فكانت تعلّمهم اكثر النهار ولم تنقطع عن ذلك في اشدّ ايامها حزنًا وكآبةً . وكانت مع انهماكها بالتاليف والسياسة وعلاقاتها الكثيرة مع مشاهير العالم القريبين والبعيدين لا تغفل عن ملاحظة اولادها واصلاح اخلاقهم وتحسين احوالهم ولا يستريح بالها اذا رأت شائبة فيهم الّا بتنبيههم عليها وتقول لهم اذا سلكتم سلوك الادنياء وارتكبتم المعاصي فاني اشعر بان ضميري يوبخني فوق حزني على ما فعلتم . ولذلك كان اولادها يحبّونها حبًّا عظيمًا ويخاطرون بانفسهم دفاعًا عنها كما يظهر من القصة الآتية : روى المؤرخون ان نبوليون بونابارت كان مسافرًا الى ساقوى سنة ١٨٠٨ فلما سمع ابنها الثاني لبكرها بذلك اسرع لمقابلته في شامبيري وكان عمرهُ حينئذٍ سبع عشرة سنة فقط فلما رأى الموكب الملكي مقبلاً دنا من بعض الحشم وسلّه تحريرًا يطلب بهِ مقابلة بونابارت فقال بونابارت ايتوا بهِ فمثل الشاب بين يديهِ وهو يتناول الطعام مسرعًا فقال من اين جئت فقال من فينا يا مولاي فقال واين امك قال في فينا او قريبة منها فقال انها مبسوطة هناك ولترتض بحالتها وانا اعلم انها ليست خيثة بل ثاقبة العقل جدًّا ولكنها لم تعتد في ايامها ان تكون مرؤوسة من احد . فالحّ ابنها عليهِ ان يأذن بردّها الى باريس وخاطبهُ بحمية وحماسة فقال لهُ بونابارت دع ذلك عنك فان امك لا تقيم في باريس سنة اشهر حتى تلجئني ان احجر عليها في مارستان المجانين او سجن المجانين وذلك عسرٌ عليَّ لانهُ ينبه الخواطر ويطلق عليَّ السنة القوم فقل لها انها لن ترى باريس ما دمت حيًّا . فصار ابنها يزيد اللجاجة ولا يخشى العاقبة فقال لهُ بونابارت انك لم تزل غلامًا حديث السن ولو كنتَ من سني لزدت تانيًا وتبصرًا في الامور فاذهب بسلام لاني احب ان ارى شابًّا يحامي عن امهِ وقد كُلِّفتَ ان تقضي امرًا عسيرًا فاحسنت وقد سرني الحديث معك ولكني لا اسمح لك بشيء ممّا طلبتَ

وقد اشتهرت مدام دوستايل بمحامد كثيرة ظهر بعضها في ما مرّ ونزيد عليهِ محبتها للحق والوقوف على حقائق الامور ولذلك كانت تبذل جهدها في تعلم كل شيء ولو مهما كلّفها من المشقّة وكانت تعدّ جهل الناس للحق والحقائق اكبر دليل على انحطاطهم . قالت عن بونابارت اني علمت بانحطاطهِ مذ رأيتهُ لا يهتم بحقائق الامور . وكانت تحب الموسيقى وتلهو بها من اشغال التأليف وتزيد السامعين طربًا بحلاوة صوتها وكان لها ميل شديد للتشخيص وموهبة عظيمة فيهِ فكانت تعرف كل المرامي الاجنبية جيّدًا . وتعلّمت في كبرها اللغات التي فاتها تعلمها في صغرها . ومن اقوالها ان درس اصطلاحات اللغة احسن المثقفات للعقل واسهل السبل لمعرفة اخلاق اهلها كما هي . واعظم ما اشتهرت بهِ كتبها التي بلغ عددها ثمانية عشر مجلدًا في كلّ فنٍّ مستظرف حتى سمّوها

فولتير النساء لكثرة المباحث التي بحثت فيها . وقد قصت بمؤلفاتها تلك غايات من اسمى الغايات احداها توسيع علم الحجال عما كان في زمانها والاخرى مهاجمة فلاسفة فرنسا الماديين كديدرو ودولباش وكندلاك وغيرهم مهاجمة عنيفة زعزعت اركان فلسفتهم والثالثة بث روح الحرية في صدور قومها اذ ابانت لهم ان الحرّية اعظم شرط لسلامة الآداب والديانة الصحيحة . وكانت فاضلة تقيّة ورعة غير متزفضة ومانت في ١٤ تموز ١٨١٧ بعد ان جالت زمانًا في النمسا وروسيا وسوج وبلاد الانكليز الذين كانت تعتبرهم اعتبارًا عظيمًا

السهو والغيبة

ما دام الانسان يقظان يكون عقله مشتغلاً يفتكر ويحس اولا يحس بحسب ما يشتغل به من الافكار . ولو لم يكن في الانسان قوّة بها يحوّل قوى عقله من التفكّر بشيء الى التفكر بشيء آخر — هي ارادته المتسلطة على عقله فتحوّله من النظر في امر الى النظر في آخر — لكانت الافكار تجري على الدوام بحسب ما يعرض لها من الامور الظاهرة او الباطنة . اما الامور الظاهرة فمتى عرضت للعقل ولم يكن منشغلاً بالنظر في امر داخلي فانها تحوله لنفسها وتغيّر افكارهُ بحسب تغيّرها امام حواسهِ في الخارج . واما الامور الباطنة فمتى عرضت للعقل فانها تحوله اليها وقد تشغله بنفسها عن كل شاغل سواها بحيث لا يشعر بالمؤثرات الخارجية التي تؤثّر في حواسهِ او لا يدرك معناها . فيحصل للانسان من اشتغال عقلهِ بالامور الظاهرة او الباطنة على ما قدّمنا حال خلاف حالهِ الاعتيادية في تصديقهِ للامور وشعورهِ بها وعملهِ الذي يعقب ذلك الشعور والتصديق . وقد اصطلحنا على تسمية حالهِ هذه الحاصلة من الامور الظاهرة بالسهو وحالهِ الحاصلة من الامور الباطنة بالغيبة . وكلا الحالين مماثل في الماهيّة ولكن اعراضها تختلف بحسب مزاج الانسان وعوائدهِ ومدة تاثرهِ بالمؤثرات التي تعرض له غير الشواغل التي تحدثها

ويكثر السهو في الشعراء والغيبة في الفلاسفة والعلماء . اما الشعراء فلأن نفوسهم تنبسط اعظم انبساطها في النظر الى محاسن الاشياء فيسلّمون لسلطان الطبيعة ويقيّدون مخيلاتهم بين يديهِ مسبيين بمحاسن هذا المنظر ومسحورين ببدائع ذلك الجمع ساهين عن كل مؤثّر يؤثّر في اذهانهم غير ما هم فيهِ منقطعين عن كل شاغل الى الامر الذي يشغلهم فتحل عُرَى الارادة عن قوى عقولهم وتجري افكارهم على حسب ما تديرها الاشياء الخارجية وتحوّلها تنبيهات المتصرفة تارةً تصعد الى اقصى السماء وطورًا تغوص الى اعماق الماء وتبني ما يبنيهِ الافدان والقصور وتزوّقها بنهاويل